**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936 إلى عام 1939**

**الطلبة الأعزاء**

**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**

في هذه المحاضرة نواصل الحديث عن مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال البريطاني في الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936 إلى عام 1939 من خلال المحاور التالية:

أسباب إنفجار الثورة والشرارة الأولى عام 1936

إضراب الكبير عام 1936

سمات الثورة الكبرى 1936

**أعزائي الطلبة في نهاية هذه المحاضرة سوف تكونوا بإذن الله قادرين على:**

1. التعرف إلى أسباب إنفجار ثورة عام 1936 وشرارتها الأولى
2. الاستفادة وطنيا من تجربة إضراب الكبير عام 1936
3. فهم سمات الثورة الكبرى 1936

**أسباب إنفجار الثورة**

شهدت فلسطين في الفترة الواقعة بين عام 1931 وعام 1936 أحداثاً وتطورات سياسية صعبة، ساهم تضافرها مع بعضها بعضاً في انفجار ثورة عام 1936 والتأثير في مسارها. وأهم هذه الأحداث والتطورات التي سببت انفجار الثورة هي:

**1. السياسة البريطانية الاستعمارية المنحازة للحركة الصهيونية:**

بعد إلغاء رئيس الوزراء البريطاني رمسي ماكدونالد العمل بكتاب باسفيلد وعدم الأخذ بتوصيات سمبسون أمعنت سلطات الانتداب البريطاني في عهد المندوب السامي آرثر واكهوب (A.Wauchope) في تعاونها مع الحركة الصهيونية بغية تهويد فلسطين وتنفيذ المشروع الصهيوني.

ففي الوقت الذي قمعت فيه السلطات البريطانية المقاومة العربية واتخذت بحقها أشد الإجراءات العسكرية ورفضت السير قدما نحو تحقيق الحكم الذاتي ( المجلس التشريعي), تعاونت مع الوكالة اليهودية، وجعلت منها حكومة داخل حكومة، وغضت الطرف عن تهريب الصهاينة للسلاح، وسهلت لهم الهجرة وامتلاك الأراضي الفلسطينية.

**2. الهجرة اليهودية المتزايدة وامتلاك الأراضي:**

ازدادت الهجرة اليهودية إلى فلسطين تزايداً مطرداً ومفاجئاً في النصف الأول من عقد الثلاثينات، رغم التوصيات التي قدمتها اللجان المختلفة لتخفيض عدد المهاجرين والقرارات التي تلتها، والتي تقضي بتحديد الهجرة اليهودية وفقاً للمفهوم الغامض القائل بـ "الطاقة الاستيعابية الاقتصادية". ففي عام 1931 وصل فلسطين 4.075 يهودياً، وفي عام 1932 وصل العدد إلى 9.553 يهودياً، ثم قفز الرقم إلى 30.327 في عام 1933، وإلى 42.359 في عام 1934، وإلى 61.854 مهاجراً يهودياً في عام 1935، وهكذا ارتفعت نسبة اليهود من 16% عام 1931 إلى 28% في عام 1936من مجموع السكان. وبالأرقام بلغ عدد اليهود في فلسطين حتى هذا التاريخ أكثر من 370 ألفاً، ولا شيء يفسر هذا الازدياد الخيالي في أعداد المهاجرين اليهود، إلا الحكم النازي في ألمانيا (1933-1945), الذي قدم بمعاداته لليهود خدمات مجانية كبرى في مجال الهجرة الصهيونية إلى فلسطين, فاقت جهود الحركة الصهيونية نفسها. وكان من الطبيعي في أعقاب هذه الأعداد الكبيرة من المهاجرين اليهود الذين دخلوا فلسطين خلال هذه الفترة، أن تزداد السيطرة اليهودية على الأراضي وأن تتضاعف المستعمرات والمستوطنات اليهودية.

منذ عام 1932-1935 سيطر اليهود على 238 ألف دونم، أي بمعدل 59,500 دونم سنوياً، وارتفع عدد المستوطنات الصهيونية في فلسطين من110 مستوطنات عام 1931 إلى 185 مستوطنة عام 1936.

إن النتيجة الطبيعية لهذه الهجرة اليهودية الكبيرة والسيطرة اليهودية على الأراضي أن يخرج قسم كبير من الفلاحين الفلسطينيين من أراضيهم الزراعية وأن يصبحوا عاطلين عن العمل أو أن يتحولوا إلى طبقة عاملة تعاني من مصاعب اقتصادية وأن يقوموا بأعمال عنف ومقاومة ضد السلطات البريطانية والحركة الصهيونية، وهذا ما يفسر لنا أسباب انفجار ثورة عام 1936 التي استمرت إلى عام 1939.

**إنفجار الثورة وإعلان الإضراب العام**

عزز إلغاء كتاب باسفيلد واستبداله بالرسالة السوداء لرئيس الحكومة البريطانية ماكدونالد من مصداقية الخط الثوري داخل الحركة الوطنية الفلسطينية والرأي العام الفلسطيني من جهة، وشكل من جهة أخرى ضربة قوية للخط المعتدل داخل قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية، الذي كان يراهن على التعاون مع بريطانيا كسبيل لحل المشكلة الفلسطينية، ورغم إدراك القيادة التقليدية المعتدلة بعقم هذه الأساليب وبعدم جدوى المفاوضات مع بريطانيا، إلا أنها لم تملك برنامجاً ثورياً، ولم تهيئ الجماهير إلى ثورة مسلحة في وجه الاحتلال البريطاني، لقد كانت تخشى هذه الزعامة التقليدية المتمثلة بالدرجة الأولى في آل الحسيني (موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العربية حتى وفاته عام 1934 والمفتي الحاج أمين الحسيني، وخصومهم التقلدييين آل النشاشيبي بزعامة راغب النشاشيبي) الصدام مع السلطة، ربما خشية من ان تقوم بريطانيا بتقويض زعامة ومكانة الطرف الذي يدعم الثورة لصالح الطرف الآخر. فالحاج أمين الحسيني لم يكن يؤمن بنجاح الثورة حتى انفجارها عام 1936، لكنه أجبر على الانخراط فيها وترأس اللجنة العربية العليا خوفاً من أن لا تقوم له قائمة إن هو تخلى عن الشعب وقيادته.

وعلى الجانب الآخر شهدت المقاومة العربية في فلسطين بعد المؤتمر الإسلامي تقدماً ملموساً في الأداء والعطاء والتنظيم، فازداد الوعي الفلسطيني في ظل الأخطار المتفاقمة والمحدقة بالبلاد وأدرك الناس بأن بريطانيا "أصل الداء وسبب البلاء"، وأن المقاومة يجب أن تكف عن الاحتجاجات والمناشدات وأن تنتقل إلى العمل، وأن توجه ضد بريطانيا وليس فقط ضد الصهاينة، وهذا ما تجلى فعلاً في اضطرابات القدس عام 1933 التي قمعتها بريطانيا بضراوة، وفي القرار الذي اتخذ في يافا في آذار/ مارس 1933 بتطبيق مبدأ "**عدم التعاون مع السلطة المنتدبة**"، وفي ثورة الشيخ عز الدين القسام.

وفي أعقاب وفاة موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العربية عام 1934، انهارت هذه المؤسسة وظهرت محلها جمعيات أكثر تشدداً ونضالا مثل حزب الاستقلال، الذي كان يطالب بالوحدة العربية ويعترض على طرق الزعامة الفلسطينية التقليدية وأساليبها في المفاوضات، ومثل حركة القسام التي كانت مترسخة في أوساط الفلاحين والفقراء، الذين ألهمهم اهتمام القسام بالإيمان الديني والعدالة الاجتماعية وابتعاده عن حب المناصب والشهوات وعن الصراعات العائلية التي انعكست سلبا على العمل الثوري.

لقد شكل عدد كبير من جماعة القسام في جميع أنحاء فلسطين كتائب لحرب العصابات سموها "اخوان القسام" وباشروا بكفاح مسلح ضد المستوطنين اليهود وضد السلطات البريطانية معاً.

**وترجع الشرارة الأولى في تفجير ثورة عام 1936**

وترجع الشرارة الأولى في تفجير ثورة عام 1936 إليهم، حيث هاجموا في 15/4/1936 بقيادة الشيخ فرحان السعدي( لقد انتقمت السلطات البريطانية منه بإعدامه صائماً وهو في الثمانين من عمره) قافلة يهودية على الطريق العام بالقرب من عنبتا، مما أدى إلى مقتل اثنين من اليهود وجرح ثالث. وفي اليوم التالي قتلت العصابة الصهيونية "الهجاناه" اثنين من الفلسطينيين على طريق ملبس – رعنانا. وعندما وصل الخبر إلى الفلسطينيين، حدثت اضطرابات واصطدامات دموية مع اليهود في مدينة يافا، مما دفع المندوب السامي إلى وضع قانون الطوارئ موضع التنفيذ، والإعلان عن نظام منع التجول على مدينتي يافا وتل أبيب في مساء 19نيسان/ابريل 1936، حتى صباح اليوم التالي.

ومن الجدير بالذكر في هذا السياق أنه في الوقت الذي كانت فيه جماعة القسام تمارس الثورة وتؤمن بالكفاح المسلح طريقاً وحيداً لتحرير فلسطين، استفحلت الخلافات والنزاعات بين زعماء الأحزاب السياسية حول عضوية الوفد السياسي المدعو إلى لندن للتفاوض، ولم يتخذوا موقفاً إزاء ما حدث في يافا، واكتفوا بمقابلة المندوب السامي البريطاني لإعلان أسفهم عن العنف الذي حصل، مبررين ذلك بأنه نتيجة لسياسة الحكومة، كما أنهم قرروا تأجيل سفر الوفد إلى لندن.

لقد صدر أول تأييد سياسي ودعم فعلي لأحداث يافا من مدينة نابلس في 20 ابريل/ نيسان 1936، عندما بادرت مجموعة من المثقفين والقوميين إلى تأليف أول لجنة قومية، اتخذت عدة قرارات سياسية مهمة ودعت إلى الإضراب العام والشامل في فلسطين، وإلى تشكيل لجان قومية في البلدات والمدن العربية لتتولى الإشراف على الإضراب وإدارة الحركة الوطنية الجديدة التي تقوم على عدة أسس أهمها:

1. تتولى نابلس قيادة الحركة الوطنية على أساس قومي لا حزبي.
2. يجب توجيه النصيحة توجيها صحيحاً، أي أنه يجب أن تتجه المقاومة ضد الانجليز باعتبارهم أساس البلاء... ولا يجوز أن تصرف القضية إلى مواجهة الصهيونية نفسها.
3. لا يجوز أن تهدأ الحركة أو أن يدعو أحد إلى تهدئتها ما لم يتحقق هدف من أهدافها.
4. الهدف العاجل للحركة وقف الهجرة اليهودية لأن استمرارها يهدد كل عربي بخطر وجوده.
5. تقوم الحركة على التنظيم، وأول بوادر التنظيم تأليف لجنة قومية تعطي الصلاحيات المطلقة لتنظيم نابلس.

ولما كانت نابلس مهد الحركة الوطنية الجديدة، انهالت عليها برقيات التأييد من العديد من المدن الفلسطينية التي بادرت بتشكيل اللجان الوطنية، وخلال الأيام الستة الأولى من الإضراب تميز العمل الوطني بحماس منقطع النظير شمل جميع فلسطين، ولم يسمع حتى ذلك التاريخ صوت أو رأي لأي من القيادات السياسية المعروفة إلى أن جاء وفد من حيفا إلى القدس مطالباً بتشكيل قيادة عليا تشرف على الإضراب الشامل تتألف من قيادات الأحزاب الستة.

فتشكلت في 25/4/1936 لجنة عربية عليا، مكونة من قيادات الأحزاب السياسية التي اضطرت إلى انخراط في الثورة، برئاسة الحاج أمين الحسيني، الذي تردد بداية في الموافقة على قيادة الحركة الوطنية علناً انطلاقا من قناعاته السابقة المعارضة لتفجير الثورة والانخراط فيها خوفاً من اصطدامه المباشر والحتمي مع سلطات الاحتلال البريطاني.لقد سبق للحج أمين أن عبر عن قناعاته هذه في مؤتمر يافا عام 1933 في جملته الشهيرة:"**أني لست ممن يتورطون**". إلا أنه لم يكن يملك أمام الاتجاه الشعبي العارم والمؤيد للثورة أي خيار آخر، إن أراد أن يظل سيداً للبلاد.ولذا وافق الحج أمين على ترأس اللجنة العربية العليا التي قررت في25 /4/1936 "الاستمرار في الإضراب العام إلى أن تبدل الحكومة سياستها المتبعة في فلسطين تبديلاً تظهر بوادره في وقف الهجرة اليهودية". وأكد القرار على المطالب الوطنية الثلاثة المعروفة وهي: "منع الهجرة اليهودية منعاً باتاً، ومنع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود، إنشاء حكومة وطنية مسئولة أمام مجلس نيابي".

وبدعوة من اللجنة العربية العليا عقد في القدس بتاريخ 8/5/1936 مؤتمر اللجان القومية، الذي تقرر فيه بالإضافة إلى الاستمرار في الإضراب، اعتماد سياسية العصيان المدني، والامتناع عن دفع الضرائب ابتداءً من 15أيار/ مايو 1936.

ومع الوقت أخذ الوضع الفلسطيني يأخذ شكل الثورة الشاملة، بعد أن كان مقتصراً في البداية على العمليات العسكرية المتفرقة والمحدودة، وازداد عدد الثوار الذين كانوا في معظمهم من الفلاحين، وبعد جهود سرية قام بها الحاج أمين الحسيني تدفق في نهاية آب/ أغسطس 1936 متطوعون عرب من شرق الأردن وسوريا والعراق إلى فلسطين للانضمام إلى الثوار، وكان على رأس هؤلاء القائد العسكري المعروف، فوزي القاوقجي اللبناني الأصل (من طرابلس) الذي أعلن نفسه قائداً عاماً لتمرد سوريا الجنوبية.

سعت بريطانيا التي فوجئت بشدة الثورة وباتساع الإضراب إلى وضع حد لهما بكافة الوسائل العسكرية القمعية والسياسية، ومن بين هذه الوسائل السياسية اتصالها مع الحكام العرب الموالين لها في القاهرة والرياض وعمان والكويت، وصنعاء، وبغداد ليقوموا بوساطة بين بريطانيا واللجنة العربية العليا لحمل الفلسطينيين على فك الإضراب وإنهاء الثورة لإفساح المجال لحل سلمي وعادل للقضية الفلسطينية. وفي العاشر من تشرين أول/ أكتوبر 1936 وجه عبد العزيز بن سعود نداء موحداً للفلسطينيين باسمه وباسم الملك غازي ملك العراق، والأمير عبد الله يطالبون فيها الفلسطينيين بالهدنة هذا نصه:

**"آلمنا كثيراً الوضع السائد في فلسطين، إننا ندعوكم بالاتفاق مع إخوتنا ملوك العرب والأمير عبد الله إلى الهدوء لتجنب سفك الدماء، واثقين من نيات حليفتنا بريطانيا العظمى ورغبتها في تحقيق العدالة، وتأكدوا من أننا مستمرون في مساعدتكم".**

وبعد أن استشارت اللجنة العربية العليا ممثلي اللجان القومية دعت الشعب الفلسطيني ابتداء من 12 تشرين أول/ أكتوبر 1936 إلى إنهاء الإضراب، الذي دام ستة شهور إلا ثمانية أيام. وفي 11 تشرين الثاني 1936 أصدر فوزي القاوقجي القائد العام للثورة العربية بيانا موقعا باسمه يطلب فيه" وقف الأعمال الحربية لعدم إفساد جو المفاوضات الجارية التي تضع فيها الأمة كل آمالها",وبعد عشرة أيام طلب من المقاتلين مغادرة أرض المعركة، والعودة إلى الأقطار العربية التي جاءوا منها، وهكذا انتهى الإضراب وتوقفت الثورة.

**سمات الثورة الكبرى** **1936**

اتسمت ثورة عام 1936 بعدة صفات لم تتصف بها أي ثورة فلسطينية أخرى في أثناء فترة الانتداب وأهمها:

1. شدتها وسعة انتشارها وطول مدتها وشموليتها جميع قطاعات الشعب الفلسطيني، وإن كانت أصولها في الريف واعتمدت على الفلاحين الفلسطينيين المحرومين.
2. كانت موجهة بالدرجة الأولى ضد سلطات الاحتلال البريطاني.
3. شمولها على إضراب طويل متواصل لم يكن له مثيل قط، تخلله الامتناع عن دفع الضرائب والعصيان المدني.
4. اشتراك عرب متطوعين من خارج فلسطين بفعالياتها ونشاطاتها.
5. عبرت عن التطلعات السياسية الأصيلة والعميقة لأبناء الشعب الفلسطيني.
6. شكلت بداية للتدخل العربي في الشؤون الفلسطينية (تعريب القضية)، وكشفت عن مدى الاعتماد العربي على الإرادة الخارجية لحل القضية الفلسطينية وعن مدى معارضتهم للعمل الثوري المقاوم للاحتلال.